

## محنة الطبري و اختلاف الفقهاء

الدكتور عمر موسى باشنا

جامعة دمشق

يعرف الكاتب في هذه المقالة الطبري ويتحدث عن نشأته ثم يتطرق إلى علمه وما ذكره العلماء في هذا الشأن وإلى محنته ويقول ليس غدير الفقهاء اسم كتاب معين من كتبه الكثيرة، وإنما هو في الحقيقة إشارة إلى كتابين كانا مصدر محنته. هما (أحاديث غدير خم). و(اختلاف الفقهاء)؛ وقد خصصتها بالبحث لأنها يمثلان شجاعة الطبري، ودفاعه عن الحق، وإيمانه بحرية الفكر في العقيدة والمذهب. ثم يضيف الكاتب قائلاً: لقد كان الطبري يدحض آراء المتعصبين والمتزمطين من العلماء الذين يحاولون طمس الحقائق الدينية بسبب النزاعات المذهبية والنزعات الذاتية التي لا تمت إلى الحقيقة بصلة. فلا غرابة بعد هذا كله إن رأينا أن هذين المؤلفين كانا مصدر محنتين، محنة في الحياة ومحنة في المات، لأنه كان يؤمن بالتسامح، ويقدم حرية الفكر المذهبي. ثم يتطرق الكاتب إلى ما أورده الطبري عن حديث غدير خم ورأي الطبري في المقام المحمود وأخيراً عن مؤلفات الطبري.

### التعريف

أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري<sup>(١)</sup>، «واحد الدهر، وفريد كل عصر»<sup>(٢)</sup>، العالم المشهور، والعلامة المجتهد، والامام الفقيه، والمفسر المحقق، والمؤرخ الثبت، و«كان أحد أئمة العلم يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفة وفضله»<sup>(٣)</sup>.

ولد في مدينة أمل، وهي حاضرة طبرستان الكبرى، في آخر سنة أربع وعشرين، أو أول سنة خمس وعشرين ومائتين هجرية (٨٣٩م)، وقد علل هذا الخلاف في تحديد المولد بأن العادة جرت عند القدماء بذكر حدث معين يوافق ذلك.

ارتحل الطبري إلى حواضر العلم في العالم الإسلامي طلباً للعلم ونيل الإجازات، وهو ابن اثنتي عشرة سنة في سنة ست وثلاثين ومائتين، فقصد الري، وأزمع أمره على زيارة أحمد بن حنبل ليأخذ عنه، ولكن وفاته حجبت عنه لقاءه. كما قصد الكوفة والشام ومصر وغيرها، وآثر العودة إلى وطنه بعد مطافه الطويل رغبة في الاستقرار وإفادة الناس بعلمه، بيد أنه رغب في الإقامة ببغداد حاضرة الخلافة، وقد عرض عليه استسلام القضاء فأباه، وأوكل إليه استسلام المظالم فامتنع عنها أيضاً، تنسكاً وتعقفاً، وخشية من الوقوع في الظلم، كما كان يرفض أن يأخذ من أحد أجراً أو مكافأة، لأنه

كان ذا مورد ورثه عن أبيه في طبرستان يكفيه رزقه وما هو بحاجة إليه.

هكذا عكف على التصنيف والتأليف، لأنه له في ذلك ثواباً في علم ينفع الناس، بعد أن اكتملت لديه الأصول الجوهرية في ثقافته الدينية والموسوعية، بالإضافة إلى ثقافته التاريخية.

### محنة الطبري

انتابت الطبري محنتان، محنة مجلس الجمعة يوم تألب عليه أعداؤه من بعض المحدثين الذين أثاروا عليه العامة وجماعة الحنابلة الحاقدين عليه، لأنه لم يكن ليعتمد صاحبهم أحمد بن حنبل فيمن يورده في رواياته، لأنه في نظره محدث وليس بصاحب مذهب متميز بين المذاهب الإسلامية.

ذكر أبو بكر الخطيب أنه مات «يوم السبت لأربع بقين من شوال سنة عشر وثلاثمائة، ودفن يوم الأحد بالغدأة في داره برحبة يعقوب، ولم يغب شيبه»<sup>(٤)</sup>.

والغريب كما أورد ياقوت خبره في معجمه نقلاً عن غير الخطيب أنه «قد دفن ليلاً خوفاً من العامة لأنه كان يتهم بالتشيع»، واستطرد ياقوت قائلاً نقلاً عن الخطيب: «ولم يؤذن به أحد، فاجتمع على جنازته من لا يحصي عددهم الا الله، وصُلي على قبره عدة شهور، ليلاً ونهاراً، ورتاه خلق عظيم من أهل الدين والأدب»<sup>(٥)</sup>، من هؤلاء أبو سعيد بن الأعرابي، فقد جاء في رثائه<sup>(٦)</sup> قوله:

حَدَّث مُنْطَعٍ وَخَطْبُ جَلِيلُ دَقَّ عَنْ مِثْلِهِ اصْطِبَارُ الصُّبُورِ  
قَامَ نَاعِيِ الْعُلُومِ أَجْمَعِ لَمَّا قَامَ نَاعِيِ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ  
وَمِنَ الَّذِينَ رَثُوهُ أَيْضاً صَدِيقُهُ ابْنُ دَرِيدٍ<sup>(٧)</sup>:

إِنَّ الْمَسْنِيَةَ لَمْ تُتَلَفْ بِه رَجُلًا بَلْ أُنْفَلَتْ عَلَيَّ لِلدِّينِ مَنصُوبَا  
كَانَ الزَّمَانُ بِه تَصْفُو مِشَارِبُهُ وَالآنَ أَصْبَحَ بِالتَّكْدِيرِ مَقْطُوبَا  
كَلَّا وَأَيَّامُهُ الْقَسْرُ الَّتِي جُعِلَتْ لِلْعِلْمِ نُورًا وَلِلتَّقْوَى مَحَارِبَا

ويبدو أن الحاقدين عليه كانوا من جماعة المحدثين الذين لم يستطيعوا مناظرته، وإنما كان يكشف أخطاءهم، بالإضافة إلى الحنابلة الذين لم يكونوا يستطيعون الوقوف أمامه في محجة المناظرة والمناقشة العلنية، وقد أفلح هؤلاء جميعاً في الإساءة إليه يوم وفاته، فمنعوا أفواج الناس من تشييعه، ودفنه في وضع النهار، وهكذا آثر جماعته ومريده دفنه في منزله خوفاً عليه من

أعدائه، فينبشون قبره ميثاً بعد محنته حياً.

يقول ابن كثير: «ودفن في داره لأن بعض عوام الحنابلة ورعاعهم منعوا من دفنه نهاراً، ونسبوه الى الرفض، ومن الجهلة من رماه بالإلحاد... بل كان أحد أئمة الإسلام علماً وعملاً يكتباب الله وسنة رسوله»<sup>(٨)</sup>.

وكان على رأس هؤلاء الحاقدين أبو بكر محمد بن داود الفقيه الظاهري فقد «كان يتكلم فيه ويرميه بالعظائم والرفض»<sup>(٩)</sup>.

كانت محنة الطبري يوم وفاته عرساً لسلطان العلم والمجد، وانتصاراً لحرية الفكر والعقيدة، وتنديداً بالتعصب المذهبي، ولا سيما على آل البيت، حين انتصر لهم، فلقي محنته الأولى التي سوف نعرضها في القسم الثاني من هذا البحث.

لقد قهر أعداءه حياً وميتاً، ولا أعرف فيما أطلعت عليه عالماً استمرت الصلاة على قبره بعد موته هذا المدى الزمني الطويل خلال شهور أو عام تقريباً<sup>(١٠)</sup>، وهذا - بالطبع - يدل على كمال فضله، ومحبة الناس إياه، ولسان الخلق أقوال الحق.

رفض الطبري في محنته الأولى أن يسامح قبيل موته كل إنسان رماه بضلالة وبدعة. قال أبو بكر بن كامل: «حضرت أبا جعفر حين حضرته الوفاة، فسألته أن يجعل كل من عاداه في حل»، فقال «كل من عاداني وتكلم في حل، إلا رجلاً رمانى وبدعة».

والمعروف عنه أنه «كان إذا عرف من إنسان بدعة أبعده وأطرحة».

والغريب حقاً أن يمنع الحنابلة مريدي الطبري من العلماء والفقهاء والشداة من الأخذ عنه. يقول أبو بكر الخطيب: «ولقد ظلمته الحنابلة، قال: الحنابلة تمنع ولا تترك أحداً يسمع عليه»<sup>(١١)</sup>.

### أمل و طبرستان

حرصت كل الحرص على وقفة معرفته عند أمل الحاضرة الكبرى لطبرستان، أصل بين الماضي والحاضر لما في ذلك من توشي الفائدة لمعرفة البيئة العلمية التي ساعدت على تكوين الطبري العظيم.

كان من المفروض أن يكون النسب المكاني، ابن جرير

ثالثة، وهي مؤلفة من لفظين طبر واستان. أما معنى طبر فهو الذي يشق الأخطاب وما شاكلها، وهو من أصل فارسي، وربما كانت من أصل عربي<sup>(١٣)</sup>. فالأصل الثلاثي طبر معروف، و طبر الرجل إذا قفز أو اختبأ، ويطلق لفظ استان على الناحية أو الموضع أي ناحية الطبر، والنسبة إليها الطبري.

#### مازندران أو طبرستان

وصف ياقوت طبرستان وصفاً دقيقاً، وأشار إلى أنها «بلدان واسعة كثيرة، يشملها هذا الاسم، خرج من نواحيها من لا يُحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقهاء. والغالب على هذه النواحي الجبال، فمن أعيان بلدانها: دهستان و جرجان و أستراباد و أمل، وهي قصبتها، وسارية. وهي مثلها، وشالوس، وهي مقاربة لها. وربما عُدَّت جرجان من خراسان. إلى غير ذلك من البلدان.

و طبرستان في البلاد المعروفة بإزندران. ولا أدري متى سميت بإزندران، فإنه اسم لم نجد في الكتب القديمة، وإنما يسمع من أفواه تلك البلاد، ولا شك أنها واحد، وهذه البلاد مجاورة لجيلان وديلمان... رأيت أطرافها، وعانيت جبالها، وهي كثيرة المياه، متهدلة الأشجار، كثيرة الفواكه... وأنا أذكر ما قال العلماء في هذا القطر، وأذكر فتوحه واشتقاقه، ولا بد من احتالك لفصل فيه تطويل بالفائدة الباردة، فهذا من عندنا بما استفدناه بالمشاهدة والمشافهة، وخذ الآن ما قالوه في كتبهم...»<sup>(١٤)</sup>.

هذا النص على غاية من الأهمية الاجتماعية والفكرية، ذلك لأن ياقوتاً يؤكد ما يرويه من فوائد اعتياداً على المنهج العلمي لدي المحدثين وذلك اعتياداً على المشاهدة والمشافهة، وقد حرصت على إيراد ما استرعى انتباهي إكمالاً للفائدة المرجوة من هذا البحث عن الطبري.

نقل ياقوت عن علماء الفرس القدماء أسطورة طبرستان وذلك حين اجتمع في جيوش بعض الأكاسرة خلق كثير من الجناة، فنفوا إلى هذا المكان، وخلص إلى القول بعد استفاضته في الحديث إلى القول: إن لفظ طبرستان هو معرب طبرزنان، ومعناه الفؤوس أو النساء، كما جاء في هذه الأسطورة الطريفة، وخلص من ذلك كله إلى القول: «والذي يظهر لي، وهو الحق،

لي ثم الطبري، كما جرت العادة في كتب التراجم، ومن المؤكد ظننا أن تجريده من مولده أمل كان جرئاً على عادة سوين للتفريق بين أمل طبرستان و أمل الشط، الواقعة بجيخون، فاقتصرت النسبة إلى أمل الثانية على الأملي. أمل الأولى فاقتصرت على الطبري، للتفريق بينهما.

عرّف ياقوت أصل فضيلتها بضم الميم، وذكر أنها «اسم بنته بطبرستان في السهل، لأنها سهل وجبل... وبأمل تعمل سجادات الطبرية، والبسط الحسان، وكان بها - أول اسلام لها - مسلحة في ألفي رجل، وقد خرج منها كثير من العلماء، تنهم قلوباً ينسبون إلى غير طبرستان، فيقال لهم: الطبري، منهم جعفر بن جرير، صاحب التفسير والتاريخ المشهور، أصله ولده من أمل...»<sup>(١٥)</sup>.

تعجب ياقوت من عدم نسبة الطبري إلى مكان مولده في بل، وذكر أنهم قلوباً ينسبون إلى غير طبرستان، على الرغم من أنه أشار إلى أمل الشط الثانية، وهي مدينة معروفة، تُنسب إليها عدد من العلماء، وهي واقعة في «غربي جيخون، على طريق مقاصد إلى بخارى من مرو، ويقال لهذه: أمل زم و أمل جيخون أمل الشط و أمل المفازة، لأن بينها وبين مرو رمالاً صعبة لمسالك، ومفازة أشبه بالمهالك، وتسمى أيضاً أمو وأمويه...». واستطرد ياقوت فعُدَّ أساء عشرة من العلماء والمحدثين لذين نسبوا إلى أمل الشط، وهذا يوضح أهمية هذه البيئة في مليها من الوجهة الفكرية والحضارية.

علّق ياقوت على ذلك بقوله: «وقد أخرجت أمل هذه جماعة من أهل العلم وافر، وفرق المحدثون بينهم وبين أمل طبرستان، ولا نفرق عندنا بين الأملين، وإنما تمنا الإشارة إلى هذا التطور الفكري الفعال في القرن الثالث الهجري في طبرستان، سواء كان ذلك في أمل الأولى أم أمل الثانية.

ومن حق البحث علينا، بعد هذا الحديث عن المدينتين المعروفتين باسم أمل، أن نخص طبرستان نفسها، فقد زارها ياقوت وأعجب بها أيماً إعجاب، وأطال الوقوف عندها، والتحدث عنها، واعتذر لنا لإطالته في ذكرها، فحديتها لديه كان شيقاً، يشعر المرء من خلاله بصدق ولانه لها، ومحبة للعلم والعلماء في كل زمان ومكان.

ضبط ياقوت لفظ طبرستان بفتح طائه وبانه وكسر راء

وذلك في تقديمه كتابه المعروف «تاريخ الرسل والملوك» أو «تاريخ الأمم والملوك» وهي التالية:

«آداب المناسك» و «آداب النفوس» و «اختلاف علماء الأمصار» و «أحاديث غدير خم» و «بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام». وقد قدم له بكتاب سناه «مراتب العلماء» و «البصير في معالم الدين» و «تاريخ الرسل والملوك» و «تهذيب الآثار» و «جامع البيان في تفسير القرآن» وقد نقله بعض المتأخرين إلى الفارسية لمنصور بن نوح الساماني، و «الجامع في القراءات» و «حديث الطير» و «الحفيف في الفقه» و «ذيل المذيل» و «الرد على الحر قوصية»<sup>(٢٠)</sup> و «الرد على ذي الأسفار»<sup>(٢١)</sup> و «الرد على ابن عبدالحكم على مالك» و «صريح السنة»<sup>(٢٢)</sup> و «طرق الحديث» و «عبارة الرؤيا» و قد مات ولم يتمه، و «العدد والتنزيل» و «الفضائل»<sup>(٢٣)</sup>، وهي ثلاثة كتب، و «لطف القول في أحكام شرائع الإسلام» وهو من أهم كتبه، وفيه آراؤه في مذهبه، و «مختصر الفرائض» و «المسترشد» و «المسند المجرد» و «الوقف» و «دلائل النبوة»، و «أمثلة العدول»، وهو من جيد كتبه التي يعول عليها أهل مدينة السلام.

ثمة كتب أخرى للطبري، وقد لاحظنا أن بعض ما ذكرناه من آثاره لم يتمه، ويبدو أن المحنة التي أصابته أوقفته عن متابعة نشاطه التأليف، والغريب أن الحنابلة كانت تضايقه وتمنع الطلبة والعلماء من حضور مجالسه العلمية، ولا تترك أحدا يسمع عليه.

#### غدير الفقهاء

ليس غدير الفقهاء اسم كتاب معين من كتبه الكثيرة، وإنما هو في حقيقته إشارة إلى كتابين كانا مصدر محتين له، لا محنة واحدة، هما: أحاديث غدير خم، و اختلاف الفقهاء؛ وقد اخترت تخصيصهما بالبحث لأنها يمثلان شجاعة الطبري، ودفاعه عن الحق، وإيمانه بحرية الفكر في العقيدة والمذهب. لقد كان يدحض آراء المتعصبين والمترمطين من العلماء الذين يحاولون طمس الحقائق الدينية بسبب النزاعات المذهبية والنزعات الذاتية التي لا تمت إلى الحقيقة بصلة، فلا غرابة بعد هذا كله إن رأينا أن هذين المؤلفين كانا مصدر محتين،

وبعضده، ما شاهدناه منهم أن أهل تلك الجبال كثير والحروب، وأكثر أسلحتهم، بل كلها، الأبطال، حتى إنك قل أن ترى صلوكاً أو غنياً إلا ويده الطير صغيرهم أو كبيرهم؛ فكانها لكثرتها فيهم سميت بذلك، ومعنى طبرستان من غير تعريب موضع الأبطال، والله أعلم...».

ثم استطرده فتحدث عن فتوح طبرستان مطولاً وختم ذلك كله بقصته طائر غريب، يعرف باسم «كمكم» ويظهر في فصل الربيع.

وجدير بالذكر هنا أن الطبري خص موطنه طبرستان بكتاب اسمه «البصير في معالم الدين»، وقد كتب به إلى أهل طبرستان «فيما وقع بينهم فيه من الخلاف في الاسم والمسئى... وهو نحو ثلاثين ورقة»<sup>(٢٤)</sup>.

وكانت صلته ببلده وثيقة، إذ كانت ترده من آله وأصدقائه هدايا كثيرة، منها الهدية التي بعث بها إلى الوزير مصحوبة برفعة مكتوبة لقبول هدية طريفة في حزمة مغلقة<sup>(٢٥)</sup>.

#### بحر العلوم

لا شك أن الطبري كان ياجم العلاء القدماء معروفاً بالعلم والذكاء والاجتهاد، وقد نعت به (البحر الإمام)<sup>(٢٦)</sup>. يقول أبو بكر الخطيب: «وما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير»<sup>(٢٧)</sup>.

واستطرده يقول: «وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله، عز وجل، بصيراً بالمعاني، فقيهاً بأحكام القرآن، عالماً بالسنة وطرقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم. له الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك، وكتاب في تفسير القرآن لم يصنف أحد مثله، وكتاب سناه تهذيب الآثار لم أر سواه في معناه، لم يتمه. وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة، واختيار من أقاويل الفقهاء، وتفرّد بمسائل حفظت عنه»<sup>(٢٨)</sup>.

أورد ياقوت آثار الطبري معلقاً على بعضها، وصنفها تصنيفاً هجائياً<sup>(٢٩)</sup> صديقي المرحوم أبو الفضل إبراهيم تحقيقاً وتوثيقاً،

عل علي والنبي الآتي

وبلغ أبا جعفر ذلك، فابتدأ بالكلام على فضائل علي بن أبي طالب، وذكر طرق حديث ختم، فكثر الناس لاستماع ذلك»<sup>(٢٨)</sup>.

كما روى الذهبي الحدث نفسه: «قيل لأبن جرير إن أبا بكر بن أبي داود يعلي في مناقب علي، فقال: تكبيرة من حارس، وقد وقع بين ابن جرير وبين ابن أبي داود، وكان كل منهما لا ينصف الآخر، وكانت المناظرة حزب أبي بكر بن أبي داود، ففكروا، وشنعوا على ابن جرير، وناله أذى، ولزم بيته نعوذ بالله من الهوى...»<sup>(٢٩)</sup>.

ونعود إلى ياقوت لمتابعة الخبر المذكور، في قوله: «واجتمع قوم من الروافض ممن بسط لسانه بما لا يصلح في الصحابة، رضي الله عنهم، فابتدأ بفضائل أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما، ثم سأله العباسيون في فضائل، فابتدأ بخطبة حسنة، وأمل بعضه، وقطع جميع الإملاء قبل موته»<sup>(٣٠)</sup>.

كان تصحيح حديث ختم ودفاعه عن رواياته المسندة، وهو الحافظ الثقة العلامة، مصدر قلق لدى هؤلاء المنتعصين الذين بهرتهم شهرته، فطبقت الآفاق فاجتمع الناس عليه من كل حذب وصوب يستميحونه علمه سماعاً وإملاءً وإجازة.

لم تظهر كتب الفضائل للوجود، ما عدا كتاب فضائل علي(ع)، إذ ابتدأها به، ذلك لأن الطبري لم يتم كتب الفضائل اللاحقة عن أبي بكر وعمر والعباس، كما يقول ياقوت، وإنما بقي من الكتاب الأول في فضائل علي(ع) أحاديث غدير ختم، وقد رآه الناس مستقلاً عن كتب الفضائل، وجدير بالذكر أن الطبري أملى فضائل أبي بكر وعمر في طبرستان، لكنه «خاف أن يجري عليه ما يكرهه، فخرج منها من أجل ذلك»<sup>(٣١)</sup>.

في منتخب تاريخ البرزالي: «قلت: وقد رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير ختم في مجلدين ضخمين»<sup>(٣٢)</sup>.

ولم يصلنا هذا الكتاب، على الرغم من شهرته، وتكرر ذكره في كتب التراجم المعتمدة، كما رأينا. ويتضح من تواتر رواياته في كتب الأصول وغيرها أن الطبري كان على حق حين خص أحاديث الغدير بكتاب مستقل، وضبطها صحةً وتواتراً وتوثيقاً وتحققاً.

محنة في الحياة، ومحنة في المساء، لأنه كان يؤمن بالتسامح، ويقدم حرية الفكر المذهبي.

أحاديث غدير ختم.

دافع الطبري عن علي بن أبي طالب في بعض المواقف التي جرى فيها ذكر علي(ع)، ودافع عن حقوق آل البيت بكل صراحة وجرأة، ومما لا شك فيه أن ذوي السلطان كانوا يتعصبون عليهم، ويحرضون بعض العلماء للتعصب منهم، لكن العلماء المنصفين ردوا عليهم مطاعنهم، وكان الطبري القدوة في الدفاع عن حقهم، وتثبيت أركانهم، ودحض مفتريات الذين نصبوا أنفسهم لشم آل البيت زلفى للذين بيدهم زمام الأمور. كان الطبري يعتمد على روايات الصحابة وآل البيت، فابتدأ تصنيف كتاب (تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن الرسول، صلى الله عليه وسلم، من الأخبار)<sup>(٣٤)</sup> ابتداءً بما رواه أبو بكر الصديق (ر) كما صح عنه بسنده، وتكلم على كل حديث منه بعلمه وطريقه... فتتم منه مسند العشرة، وأهل البيت، والموالي...»<sup>(٣٥)</sup>.

مات الطبري قبل إتمامه، وقد عُدَّ «من عجائب كتبه» كما ذكر ياقوت أنه «كتاب يتعذر على العلماء عمل مثله، ويصعب عليهم تمته»<sup>(٣٦)</sup>.

إن ما يهمننا من الإشارة إلى هذا الكتاب، أنه اعتمد ووثق روايات آل البيت، لأنه كان يجيهم ويحترمهم، ويدافع عن حقوقهم، وما تنقص أحد علياً(ع) أو بعض آله، إلا وقد تصدى للدفاع عنهم.

قال ابن عساكر: «ولما بلغه أن أبا بكر بن أبي داود السجستاني تكلم في حديث غدير ختم، عمل كتاب الفضائل، فبدأ بفضل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وتكلم على تصحيح حديث غدير ختم، وأتى من فضائل أمير المؤمنين علي بما انتهى إليه، ولم يتم الكتاب»<sup>(٣٧)</sup>.

وقال ياقوت: «وكان إذا عرف من إنسان بدعة أبعد وأطرحه، وكان قد قال بعض الشيوخ ببغداد بتكذيب غدير ختم، وقال: إن علي بن أبي طالب كان باليمن في الوقت الذي كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بغدير ختم، فقال ثم مررنا بغدير ختم كم قائل فيه بزور جُم

وجدير بالذكر أن نشير إلى العمل الجبار الذي قام به العلامة الأميني النجفي بوضع موسوعته الكبرى المعروفة بـ (التقدير في الكتاب والسنة والأدب)، وذلك تعويضاً عن الكتاب المفقود، وحقق بذلك منه المقصود.

### اختلاف الفقهاء

كان الطبري عالماً متفرداً مجتهداً «له مذهب في الفقه اختاره لنفسه، وله في ذلك عدة كتب»<sup>(٣٣)</sup>، ولا يعتمد على النقل فحسب، وإنما كان يعمد إلى العقل والإجتihad، لأنه كان يتمتع بشخصية فريدة اتسمت بالعلمية والموضوعية والبعده عن التعصب الذي كان معروفاً لدى بعض العلماء في القرن الثالث الهجري في العصر العباسي. وسوف يتضح لنا موقفه الموضوعي في قضية هامة جداً، أوردتها في كتابه الكبيرين المشهورين، هما: لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام، و اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام. وكان هذان الكتابان الفقهيان عامة، والثاني منها خاصة مصدر محنة الطبري.

كما أطلق على الكتاب الثاني اسم «اختلاف الفقهاء»<sup>(٣٤)</sup> وبذلك اشتهر. ولابد لنا من الإشارة بآدي الأمر إلى البواعث الجوهرية التي حثت المؤلف على تصنيفه. فقد ذكر أن الطبري كتبه جواباً لأحمد بن عيسى الذي سأله ذلك وطلب منه معرفة سبب تأليفه.

أورد ياقوت خبر هذا الكتاب في قوله: «وكان أول ما عمل هذا الكتاب - على ما سمعته يقول وقد سأله عن ذلك أبو عبدالله أحمد بن عيسى الرازي - إنها يحمله ليتذكر به أقوال من يناظره، ثم انتشر، وطلب منه فقراءه على أصحابه»<sup>(٣٥)</sup>. يؤكد هذا النص أهمية الكتاب المذكور، وقد اعتمد ياقوت خبره مفصلاً جداً، ومن الواجب علينا أن نورد، وقد ذكره في معرض تعادده آثاره، وعلق عليه بقوله:

«ومنها كتابه المشهور بالفضل، شرقاً وغرباً، المسمى بكتاب اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام. قصد به إلى ذكر أقوال الفقهاء، وهم: مالك بن أنس، فقيه أهل المدينة بروايتين، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، فقيه أهل الشام، ومن أهل الكوفة، سفيان الثوري بروايتين، ثم محمد بن

إدريس الشافعي، ما حدث به الربيع بن سليمان عنه، ثم من أهل الكوفة، أبو حنيفة النعمان بن ثابت، وأبو يوسف، يعقوب ابن محمد الأنصاري، وأبو عبدالله، محمد بن الحسن الشيباني، مولى لهم، ثم إبراهيم بن خالد، أبو نصر الكلبي، وقد كان أولاً ذكر في كتابه بعض أهل النظر، وهو عبدالرحمن بن كيسان، لأنه كان في الوقت الذي عمله، ما كان يتفقه على مذهبه، فلما طال الزمان به، وقَّه أصحابه بسهو أسقطه من كتابه»<sup>(٣٦)</sup>.

ولابد من الإشارة إلى أن الطبري قد قام برحلة علمية إلى الدينور ماضياً إلى طبرستان، وقد نقل لنا عبدالعزيز بن هارون قوله له: «ما يحسن بنا أن نجتمع ولا نتذكر»، وقد تمت فعلاً الاجتماعات والمذكرات، منها مذاكرة عبدالله بن حمدان ولقاؤه مع أبي بكر بن سهل الدينوري، وحضور الكساني وغيرهما، وقد قال في ختام مناظرة ابن حمدان في المسند «هذا خطأ من جهة كذا، ومتلي لا يذاكر به! فيخجل وينقطع».

وتتضح لنا من خلال هذه الرحلة العلمية فيما رواه ياقوت كثرة المناظرات، وما يتبع ذلك من بغضاء وشحناء، وقد أدى ذلك بالتالي إلى تألب العلماء عليه، فكثرت الحاقدون والحاسدون والموتورون من بعض المحدثين والفقهاء والحنابلة بشكل خاص. يقول ياقوت: «فلما قدم إلى بغداد من طبرستان بعد رجوعه إليها تعصب عليه أبو عبدالله الجصاص، وجعفر بن عرفة، والبياضى»<sup>(٣٧)</sup>، وقصده الحنابلة، فسألوه عن أحمد بن حنبل في الجامع، يوم الجمعة، وعن حديث الجلوس على العرش، فقال أبو جعفر: أما أحمد بن حنبل، فلا يعدُّ خلافة، فقالوا له: فقد ذكره العلماء في الاختلاف، فقال: ما رأيته روي عنه، ولا رأيت له أصحاباً يقولون عليهم. وأما حديث العرش فمحال، ثم أنشد:

سبحان من ليس له أنيسٌ ولا له على عرشه جليس  
فلما سمع ذلك الحنابلة منه وأصحاب الحديث، وثبوا ورموه  
بمحابرهم، وقيل: كانت ألوفاً فقام أبو جعفر بنفسه ودخل  
داره، فرموا داره بالحجارة، حتى صار على بابه كالتل العظيم،  
وركب «نازوك»، صاحب الشرطة في عشرات ألوف من الجند  
يمنع عنه العامة، ووقف على بابه يوماً إلى الليل وأمر برفع  
الحجارة عنه، وقد كان كتب على بابه:

هذه العقلية المفتوحة في تدبر الأحكام الدينية والفقهية وثورته على الجمود العقلي، واعتاده على الاجتهاد فيها وافق العقيدة والنص جعلت بعض الفقهاء من الحنابلة والمحدثين يوقعون به، ويوغرون عليه العامة، فيهاجمون في مجلسه العلمي، ويرجمون داره.

يختلف العلماء في كل زمان ومكان، وإختلاف الأئمة رحمة، والغريب حقاً أن يؤدي الخلاف في وجهات نظر إلى اثاره العامة، ويحتاج صاحب الشرطة نازوك إلى عشرات الألوف من الجند ليحمي هذا الإنسان العالم.

وأخر هذه الأمور أن هذا النص يؤكد أن الطبري كان متسامحاً لا يفرق بين المذاهب الإسلامية وطوائفها، فقد انتصر لعلي بن أبي طالب حين تعرض بعضهم - كما رأينا - لأحاديث الغدير، وعلل بعضهم ذلك لأنه كان يتشيع. وصفه الذهبي بأنه «ثقة صادق، فيه تشيع يسير، وموالة لا تضرب...»<sup>(٤١)</sup>.

وخلص الذهبي إلى القول: «... بل ابن جرير من كبار أئمة الإسلام المعتمدين، وما ندعي عصمته من الخطأ، ولا يحل أن تؤذيه بالباطل والهوى، فانه كلام العلماء بعضهم في بعض ينبغي أن يتأني فيه، ولا سيما في مثل إمام كبير...»<sup>(٤٢)</sup>. وعلق ابن حجر على الذهبي بقوله: «وانما نبت<sup>(٤٣)</sup> بالتشيع لأنه صحح حديث غدير خم»<sup>(٤٤)</sup>.

هذا الخبر يؤكد أنه عد عند بعض العلماء من الشيعة لموقفه من علي (ع)، وتصحيحه حديث غدير خم.

وعده أبو حيان من الامامية حين أورد كلام السليمان في الكلام على «الصراط» في أوائل تفسيره: «وقال أبو جعفر الطبري، وهو من أئمة الإمامية «الصراط» بالصاد لغة قريش إلى آخر المسألة»<sup>(٤٥)</sup>. وربما كان نسبة إلى الأملي.

وجدير بالذكر هنا أن الطبري كان يدافع عن علي (ع) في مجالسه العلمية، وقد أخرج ابن عساکر عن روى عن الطبري ساعاً في قوله: «وجرى ذكر علي (ع)...» والسؤال المتعلق بإمامتي أبي بكر وعمر وموقفه في مجلسه من ذلك.

يضاف إلى ذلك كله أن الطبري أورد ما يتعلق بغدير خم في كتاب مستقل، وهو في مجلدين ضخمين، كما رآه البرزالي، ولا نعرف عن وجود الكتاب شيئاً، وربما كان من جملة كتبه المفقودة.

سبحان من ليس له أنيس - ولا له على عرشه جليس فأمر نازوك بمحو ذلك، وكتب مكانه بعض أصحاب الحديث:

لاحمد منزل لا شك عالٍ إذا وافى إلى الرحمن وافد  
فئديه وتعمده كريماً على رغم لهم في أنف حاسد  
على عرشه يخلقه بطيب على الأكباد من باغ وعاند  
له هذا المقام الفرد حقاً كذاك رواه ليت عن مجاهد

فخلا في داره، وعمل كتابه المشهور في الاعتذار إليهم، وذكر مذهبه واعتقاده، وخرج من ظن فيه غير ذلك، وقرأ الكتاب عليهم، وفضل أحمد بن حنبل، وذكر مذهبه وتصويب اعتقاده، ولم يزل في ذكره إلى أن مات. ولم يخرج كتابه في الاختلاف حتى مات، فوجدوه مدفوناً في التراب، فأخرجوه ونسخوه، أعني: «إختلاف الفقهاء...»<sup>(٣٨)</sup>

هذا النص الذي أورده ياقوت على غاية من الأهمية في تاريخنا الفكري، فهو يوضح لنا أموراً كثيرة ذات أبعاد كبرى ودلالات هامة.

أولها: اضطهاد الحرية المذهبية، وهذا مؤشر خطير في قدسية الحياة الفكرية والدينية، فما جعله يفضل اعتزال الناس والخلود إلى الخلوة في داره، ودفن آثاره في التراب حتى وافته منيته، فأخرجها الناس بعد موته ومنها إختلاف الفقهاء. وكان هذا من تدبير فئة منطرفة من الحنابلة.

ثانيها: موقف الطبري من أحمد بن حنبل، ورأيه فيه أنه لا علاقة له في أصول الاختلاف، لأنه محدث، وليس بصاحب مذهب معين في الفقه.

وثالثها: موقف المحدثين منه ومن آرائه في الاختلاف، ولا سيما أنه «كان له قدم في علم الجدل، يدل على ذلك مناقضاته في كتبه على المعارضين لمعاني ما أتى به»<sup>(٣٩)</sup>.

يضاف إلى ذلك - كما يقول ياقوت - أنه «كان راجحاً في علوم القرآن، والقراءات، وعلم التاريخ من الرسل والخلفاء والملوك وإختلاف الفقهاء مع الرواية»<sup>(٤٠)</sup>.

كان الطبري في نظر معظم الناس إماماً مجتهداً، أوتي من سعة العلم، وصواب الرأي، ونفاذ البصيرة، ولا أشك أن أحداً من أعدائه أو أصدقائه من ينكر عبقريته في مؤلفاته عامة، ومؤلفيه الموسوعيين المشهورين في تفسيره وتاريخه وغيرها أو يتنقصها، ويكفي أن نطلع على ما كتبه من ترجموا له حياته.

والأسود، وعن عبدالرحمن بن الأسود؛ وعن علقمة والأسود بمثله، وعن علقمة وعن الحسن، وعن الحجاج بن عمرو، بتواتر مختلف ليؤكد أن «التهجد بعد نومة»، أو «بعد النوم»، أو «بعد رقدة»<sup>(٤٩)</sup>.

ثم انتقل إلى قوله تعالى: «نافلة لك»، فبدأ بتفسيره كما يعتقد بقوله: «يقول: نفلًا لك عن فرائضك التي فرضتها عليك»<sup>(٥٠)</sup>.

واستطرد الطبري فذكر اختلاف المفسرين وجعلهم في قسمين: «واختلاف في المعنى الذي من أجله خصَّ بذلك رسول الله (ص)، مع كون صلاة كل مصلٍّ بعد هجوده (إذا كان قبل هجوده قد كان أدى فرائضه) نافلةً نفلًا إذ كانت غير واجبة عليه، فقال بعضهم: معنى خصوصه بذلك هو أنها كانت فريضة عليه، وهي لغيره تطوع. وقيل له: أقمها نافلة لك، أي فضلًا لك من الفرائض التي فرضتها عليك عمّا فرضت على غيرك»<sup>(٥١)</sup>.

استشهد الطبري بعد هذا الحديث المستفيض بابن عباس: «يعني بالنافلة أنها للنبي (ص) خاصة، أمر بقيام الليل وكتب عليه».

وانتقل الطبري إلى القسم الثاني من المفسرين لأوائل هذه الآية، ويبدو أنه كان غير مطمئن لما ورد فيها، ومن عادته أنه يقدم الأصوب ثم يذكر الأضعف أو ما كان موضع الخلاف.

يقول الطبري: «وقال آخرون: بل قيل ذلك له، عليه السلام، لأنه لم يكن فعله ذلك يُكفر عنه شيئاً من الذنوب، لأن الله، تعالى، كان قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكان له نافلة فضل، فأما غيره فهو له كفارة، وليس هو له نافلة»<sup>(٥٢)</sup>.

وأورد الطبري ذكر من قال ذلك نفلًا عن مجاهد، «قال: النافلة للنبي (ص) خاصة من أجل أنه لا يعمل ذلك في كفارة الذنوب، فهي نوافل وزيادة، والناس يعملون ما سوى المكتوبة لذنوبهم في كفارتها، فليست للناس نوافل»<sup>(٥٣)</sup>.

يقارن الطبري بين القولين: قول ابن عباس وقول مجاهد وينتصر للرأي الأول الذي أخذ به، ويناقش مجاهد في صحة رأيه في تعليقه: «وأولى القولين بالصواب في ذلك القول الذي ذكرنا عن ابن عباس»<sup>(٥٤)</sup>.

هذه قصة الكتاب المدفون في القديم، وقد نوهنا في مطلع الكلام بفضل المستشرق كرن في بعثه من مرقده في العصر الحديث، إذ أخرجه إخراجاً سليماً، وذكر أنه استعان بمشورة بعض العلماء المصريين الأفاضل، ونوه كثير بتناظر المكتبة الخديوية الأستاذ موريتس، والطريف أنه أرخ بحساب الجمل تاريخ طبعه قبل تسعين عاماً هجرياً وسبعة وثمانين ميلادياً، ومن المعروف في حساب الجمل أنه يكون بالحساب الهجري عادة، ولكنه قد شفعه بالتاريخ الميلادي على غير ما هي العادة في كتب التراث العربي والاسلامي.

(جلبوا يا طالبني تاريخه) (هاك انتهى طبع اختلاف الفقهاء)

١٢٢٠ هـ	١٩٠٢ م
١١ + ٥٢ + ١٢١٦	٢٦ + ٤٦٦ + ٨١ + ١١١٢ + ٢١٧

والملاحظ أنه أنهى التاريخ الهجري بـ(ها)، وهذا غير معروف في الجمل.

المقام المحمود

تكمن محنة الطبري في موقفه من «المقام المحمود» الوارد في سورة الاسراء في قوله تعالى:

﴿ومن الليل فتهجدُ به نافلةً لك، عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً...﴾<sup>(٤٧)</sup>.

سُئل الطبري في مجلس الجمعة عن «المقام المحمود»، فأجاب على ذلك بقوله: «وأما حديث العرش فمحال...».

يخالف هذا الجواب ما أورده في تفسيره الكبير، ولا بد لنا من بحث هذا الموضوع الخطير بشكل دقيق نظراً لأهمية ذلك في المحنة التي حلت بالطبري، من الحنابلة وبعض المحدثين ومن تبعهم من عامة الناس.

شرح الطبري القسم الأول من الآية بقوله:

«يقول، تعالى ذكره، لنبيه محمد، صلى الله عليه وسلم: ومن الليل فاسهر بعد نومة، يا محمد، بالقرآن نافلة لك خالصة دون أمتك» واستطرد فتحدث عن المعنى للتهجد، وفسره بالتيقظ والسهر بعد نومة من الليل، وفرق بين هذا اللفظ والهجوم وهو النوم نفسه، واستشهد بشواهد من شعر الحطيئة وغيره. وخلص بعد هذا كله ليقول: «وينحو الذي قلنا في ذلك قال أصل التأويل»<sup>(٤٨)</sup>.

أكد الطبري تفسيره بها رواه من أحاديث عن علقمة



صنف الطبري الاختلاف عند أهل التأويل ضمن مذهبين:

### المذهب الأول

وهو الذي أقره أكثر أهل العلم:

«المقام المحمود... ذلك هو المقام الذي هو يقومه، صلى الله عليه وسلم، يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربه من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم...»<sup>(٥٩)</sup>.

وأورد الطبري كعاداته ذكر الذين ذهبوا هذا المذهب رواية عن حذيفة، وابن عباس، وعبدالله، والحسن، ومجاهد، وسليمان، وقتادة. وقد تكررت رواية بعض المحدثين باختلاف سند الرواية كما هو الأمر عند حذيفة ومجاهد وغيرها.

### المذهب الثاني

وهو مذهب ورد في رواية آخرين، وقد اقتصر فيه الطبري

على ذكر رواية ليث عن مجاهد، كما أوردها الطبري:

«وقال آخرون: بل ذلك المقام المحمود الذي وعد الله نبيه، صلى الله عليه وسلم، أن يبعثه آياه، هو أن يقاعده منه على عرشه». ثم استطرد الطبري، فذكر من قال ذلك: «حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي قال: حدثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد في قوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال: يُجَلِّسُهُ معه على عرشه»<sup>(٦٠)</sup>.

ناقش الطبري المذهبين معاً في التأويل، ورجح الصواب في نظره، وشفع رأيه بما يؤكد رجحانه، وقد اعتمد على ما أورده في تفسيره بما يتعلق بالكرسي، والعرش، وهل الكرسي هو العرش نفسه أم هو علم الله وملكه وسلطانه؟!

يقول: «وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صحَّ به الخبر عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ما حدثنا به أبو كريب... عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ سئل عنها، قال: هي الشفاعة»<sup>(٦١)</sup>.

وتابع الطبري ذكر جماعة من المحدثين الذي يؤكدون هذا المذهب نقلاً عن كعب بن مالك، وعبدالله بن عمر، وابن مسعود، وعلي بن الحسين، وابن عمر، واختتم ذكرهم بما أورده في رواية ثانية منقولة عن كعب بن مالك في ذات المعنى، وهو

وعلل هذا التفضيل بينهما بقوله: «وذلك أن رسول الله (ص) كان الله تعالى قد خصه بما قرَضَ عليه من قيام الليل دون سائر امته. فأما ما ذكر عن مجاهد في ذلك، فقول لا معنى له، لأن رسول الله (ص) فيما ذكر عنه، أكثر ما كان استغفاراً لذنوبه بعد نزول قول الله عز وجل، عليه ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ وذلك أن هذه السورة أنزلت عليه بعد منصرفه من الحديبية، وأنزل عليه ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ عام قبض، وقيل له فيها: ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾، فكان بعد له (ص) في المجلس الواحد استغفار مائة مرة، ومعلوم أن الله لم يأمره أن يستغفر إلا لما يُغْفَرُ باستغفاره ذلك، فبين إذا وجه فساد ما قاله مجاهد»<sup>(٥٥)</sup>.

ولم يكتف الطبري بهذا الرد والقول الفصل وإنما ختمه

بحديثين:

أولهما مروى عن أبي أمامة يقول فيه: «إنها النافلة للنبي (ص) خاصة». وثانيهما مروى عن قتادة: «(نافلة لك) قال: تطوعاً وفضيلة لك»<sup>(٥٦)</sup>.

حرصت على إيراد التفسير للقسم الأول لأوضح أن الطبري كان يختلف مع مجاهد في الرأي وذكر بصريح العبارة فساد ما قاله، وهذا التقديم يوضح أشياء خطيرة - الخلاف الذي أورده الطبري في القسم الثاني من آية المقام المحمود.

ابتدأ الطبري كعاداته بتفسيره الشخصي لتتمة قوله المكمل لما بدأنا به في قوله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾.

وقد أطلال الوقوف عند (عسى)، وذكر أنها من الله واجبة، وأن (عسى) و (لعل) في الاستخدام القرآني «من الله واجبة»<sup>(٥٧)</sup>.

وانتقل الطبري بعد ذلك فأعطى الشرح العام بقوله: «وتأويل الكلام: أقم الصلاة المفروضة، يا محمد، في هذه الأوقات التي أمرتك بإقامتها فيها، ومن الليل فتهدد قرصاً فرضته عليك، لعل ربك أن يبعثك يوم القيامة مقاماً تقوم فيه محموداً تحمده وتقبط فيه، ثم اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود»<sup>(٥٨)</sup>.

### رأي الفرقة الثانية

تعتقد الفرقة الثانية أن الله تعالى ذكره، كان «قبل خلقه الأشياء لا شيء يئاسه، ولا شيء يُباینه، ثم خلق الأشياء، فأقامها بقدرته، وهو كما لم يزل قبل خلقه الأشياء لا شيء يئاسه، ولا شيء يبيأينه، فعلى قول هؤلاء أيضاً، سواء أقدّم محمداً، صلى الله عليه وسلم، على عرشه، أو على أرضه، إذ كان سواء على قولهم عرشه وأرضه في أنه لا مماس، ولا مبيأين لهذا، كما أنه لا مماس ولا مبيأين لهذه»<sup>(٦٥)</sup>.

### الفرقة الثالثة

تعتقد هذه الفرقة أن الله، عزّ ذكره، كان «قبل خلقه الأشياء، لا شيء يئاسه، ولا شيء يبيأينه، ثم أحدث الأشياء وخلقها، فخلق لنفسه عرشاً استوى عليه جالساً، وصار له مماساً، كما أنه قد كان قبل خلقه الأشياء، لا شيء يرزقه رزقاً، ولا شيء يحرمه ذلك، ثم خلق الأشياء، فرزق هذا، وحرم هذا، وأعطى هذا، ومنع هذا.

قالوا: فكذلك كان قبل خلقه الأشياء، لا شيء يئاسه ولا يبيأينه، وخلق الأشياء، فمماس العرش بجلوسه عليه، دون سائر خلقه، فهو مماس ما شاء من خلقه، ومبيأين ما شاء منه. فعلى مذهب هؤلاء أيضاً، سواء أقدّم محمداً على عرشه، أو أقدّمه على منبر من نور، إذ كان - من قولهم - أن جلوس الرب على عرشه ليس بجلوس يشغل جميع العرش، ولا في إقعاد محمد، صلى الله عليه وسلم، موجبا له صفة الربوبية، ولا مخرجة من صفة العبودية لربه، كما أن مبيأينة محمد، صلى الله عليه وسلم، ما كان مبيأيناً له من الأشياء، غير موجبة له صفة الربوبية، ولا مخرجة من صفة العبودية لربه من أجل أنه موصوف بأنه له مبيأين، كما أن الله عزّ وجلّ، موصوف على قول قائل هذه المقالة بأنه مبيأين لها كما هو مبيأين له.

قالوا: فإذا كان معنى (مبيأين) و (مبيأين) لا يوجب لمحمد، صلى الله عليه وسلم، الخروج من صفة العبودية، والدخول في معنى الربوبية، فكذلك لا يوجب له ذلك قعوده على عرش الرحمن»<sup>(٦٦)</sup>.

وخلص الطبري إلى قوله ملخصاً ما أورده ومعبراً عن رأيه الخاص: «فقد تبين إذاً بما قلنا أنه غير محال في قول أحد ممن

«أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال يحشر الناس يوم القيامة، فأكون، أنا وأمتي على تلّ، فيكسوني ربي، عزّ وجلّ، حلة خضراء، ثم يؤذّن لي، فأقول ما شاء الله أن أقول، فذلك المقام المحمود»<sup>(٦٧)</sup>.

لم يكف الطبري بهذا التوثيق كله لمفهوم المقام المحمود، وإنما تدبّر أمر جماعة المذهب الثاني، أي جماعة مجاهد، وناقش بكل موضوعية آراءها، وجعلها في ثلاث فرق، ووضّح بعنق آراء كل فرقة على حدة، وارتأى أن ما ذكره مجاهد غير مرفوض وغير مدفوع صحته، لا من جهة خبر، ولا من جهة نظر.

يقول الطبري: «... وهذا، وإن كان هو الصحيح من القول في تأويل قوله (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) لما ذكرنا من الرواية، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه والتابعين، فإن ما قاله مجاهد من أن الله يقعد محمداً، صلى الله عليه وسلم، على عرشه قول غير مدفوع صحته، لا من جهة خبر، ولا نظر، وذلك لأنه لا خبر عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولا عن أحد من أصحابه ولا عن التابعين بإحالة ذلك، فأما من جهة النظر فإن جميع من ينتحل الإسلام إنما اختلفوا في معنى ذلك على أوجه ثلاثة»<sup>(٦٨)</sup>.  
ومما يلفت النظر حقاً في هذا الباب أن الطبري أورد آراء الفرق الثلاث بكل أمانة وموضوعية.

### رأي الفرقة الأولى

تعتقد هذه الفرقة أن «الله، عزّ وجلّ، بائن من خلقه، كان قبل خلقه الأشياء، ثم خلق الأشياء فلم يئاسها، وهو كما لم يزل، غير أن الأشياء التي خلقها إذ لم يكن هو لها مماساً، وجب أن يكون لها مبيأيناً، إذ لا فعال للأشياء إلا وهو مماس للأجسام، أو مبيأين لها.

قالوا: فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله، عزّ وجلّ، فاعل الأشياء، ولم يجز في قولهم أنه يوصف بأنه مماس للأشياء وجب بزعمهم أنه لها مبيأين.

فعلى مذهب هؤلاء سواء أقدّم محمداً على عرشه، أو على الأرض، إذ كان من قولهم أن بينوته من عرشه، وبينوته من أرضه، بمعنى واحد في أنه بائن منها كليهما غير مماس لواحد منهما»<sup>(٦٩)</sup>.

ينتحل الإسلام ما قاله مجاهد من أن الله تبارك وتعالى، يقعد محمداً على عرشه، فإن قال قائل: فإنا لا ننكر إقعاد الله محمداً على عرشه، وإنما ننكر إقعاده معه»<sup>(٦٧)</sup>.

لاحظ الطبري أهمية ما يورده من آراء، وخاصة المذهب الأخير، ورأى يناقب بصيرته أن يوثق رأيه هذا بما أورده من حديث عبد الله بن سلام.

«قال: إن محمداً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يوم القيامة على كرسي الرب بين يدي الرب، تبارك وتعالى، وإنما ينكر إقعاده إياه معه. قيل: أفجائز عندك أن يقعه عليه لا معه؟!»

فإن أجاز ذلك صار إلى الإقرار بأنه إما معه، أو إلى أنه يقعه، والله للعرش مبين، أو لا مماس ولا مبين، وبأي ذلك قال كان منه دخولاً في بعض ما كان ينكره.

وإن قال: ذلك غير جائز كان منه خروجاً من جميع الفرق التي حكينا قولهم. وذلك فراق لقول جميع من ينتحل الإسلام، إذ كان لا قول في ذلك إلا الأقال الثلاثة التي حكيناها، وغير محال في قول منها ما قال مجاهد في ذلك»<sup>(٦٨)</sup>.

هكذا ناقش الطبري قضية جلوس محمد(ص) على عرش الله، عز وجل، في هذا المقام المحمود، ورأى أن جماعة المذهب الثاني، وهم جماعة مجاهد، قد قالت: أن الله يقعد محمداً(ص) على عرشه، وعلّق الطبري على ذلك، فذكر أن هذا القول غير مدفوع صحته، لا من جهة النظر، ولا من جهة الخبر.

لم يكف الطبري بذلك، وإنما تعمق في هذا الرأي الأخير، وذكر آراء ثلاث فرق، وناقش كل فرقة على حدة، وهكذا ترك للناس حرية الاقتناع إيماناً منه بحرية الرأي في العقيدة والمذهب والاجتهاد.

والغريب أن نجد الطبري في مجلسه العلمي يوم الجمعة الذي كان شؤماً عليه، أن يغير أسلوبه في المناقشة، فيصّر أمام مناظريه من الحنابلة والمحدثين على أن الجلوس على العرش والقعود مع الله حرام، وهذا نابع من إيمانه أن محمداً(ص) بشر مثلكم، وينفي أن يعطيه صفة الربوبية، إيماناً منه بالعبودية المطلقة لله الواحد الأحد، والفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

اهتم بعض المفسرين بالجانب اللغوي، بالإضافة إلى الجانب الإصطلاحي، نشير مثلاً إلى الإمام الطبرسي، (أمين

الدين، أبو علي، الفضل بن الحسن بن الفضل المتوفى سنة ٥٤٨هـ) وهو مفسر محقق لغوي، ومن أجلاء الإمامية، وقد شرح «المقام المحمود» بقوله: «والمقام بمعنى البعث، فهو مصدر من غير جنسه، أي يبعثك يوم القيامة بعثاً أنت محمود فيه، ويجوز أن يجعل (البعث) بمعنى الإقامة، أي: أثرته وأقمته، فيكون معناه: يقيمك ربك مقاماً يحمدك فيه على جميع الخلائق، تسأل فتعطي، وتشفع فتشفع...»<sup>(٦٩)</sup>.

واستطرد فذكر أن (المقام المحمود) هو مقام الشفاعة، وهو المقام الذي يشفع فيه للناس، وهو المقام الذي يعطي فيه لواء الحمد، فيوضع في كفه، وتجتمع تحته الأنبياء والملائكة، فيكون أول شافع وأول مشفع»<sup>(٧٠)</sup>.

كما اعتمد المفسرون المحدوثون على ما فسره السابقون في هذا الموضوع جملة وتفصيلاً، وقد استرعى انتباهي الاتجاه اللغوي في تفسير المقام المحمود، وفيه كثير من التشابه، فقد ذكر أنه «من الممكن أن يكون مصدراً ميمياً، وهو البعث، فيكون مفعولاً مطلقاً لبيعتك من غير لفظه. والمعنى: عسى أن يبعثك ربك بعثاً محموداً.

ومن الممكن أن يكون اسم مكان، والبعث بمعنى الإقامة، أو مضمناً معنى الإعطاء ونحوه. والمعنى: عسى أن يقيمك ربك في مقام محمود، أو يبعثك معطياً لك مقاماً محموداً، أو يعطيك باعثاً».

والملاحظ في هذا القول الاهتمام بالتفسير اللغوي كما رأينا عند الطبرسي، واستخدام التأويل في التضمين اللفظي، ولكن الطباطبائي لم يخرج في التفسير المعنوي عما ورد عند السابقين، وهذا يتضح في قوله:

«وقد وصف، سبحانه، مقامه بأنه محمود، وأطلق القول من غير تقييد، وهو يفيد أنه مقام يحمد الكل، ولا يثنى عليه الكل إلا إذا استحسنته الكل، وانتفع به الجميع، ولذا فسروا (المقام المحمود) بأنه المقام الذي يحمد عليه جميع الخلائق، وهو مقام الشفاعة الكبرى له، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يوم القيامة وقد اتفقت على هذا التفسير الروايات من طريق الفريقين، عن النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأئمة أهل البيت، عليهم السلام»<sup>(٧١)</sup>.

ولا بد لنا بعد هذا العرض المفصل من الإشارة الحتمية

من اشتركوا في إثارة محنة الطبري ليسوا من العلماء الذين خلّفوا لنا تصانيف يُعتدُّ بها كما هو الحال عند العلماء الحنابلة المنصفين المتأخرين، فقد روي عن ابن تيمية أنه أثنى عليه ونوّه كثيراً بتفسيره الكبير<sup>(٧٣)</sup>.

ويبدو أن هذين العالمين الجليلين، على الرغم من تأخر ثانيهما زمنياً، فقد جمعتها المحنة العلمية، وامتنحها الله بسبب اجتهادهما، وكان إجماع الناس على فضلها وحبها ما يجعل المحنة منحة إيمانية مطلقة.

#### الكتاب المدفون

يرجع الفضل في نشر المشتت المتبقي من كتاب «اختلاف الفقهاء» وهو الذي دفته الطبري، خوفاً عليه، وذلك حلت به المحنة الكبرى بسبب رأيه في «المقام المحمود» إلى المستشرق الألماني الدكتور فريدريك كرن، الذي اهتم به اهتماماً خاصاً، نظراً لأهميته بين آثار المؤلف، وقد أهداه بقوله: «إلى معلمي العزيز الشيخ جولدزهر المجرّي الأزهرّي».

وصف كرن عمله في مقدمته الهامة بقوله: «نقلت نسخة المكتبة الخديوية بالقاهرة، من جامع محمد أفندي، الشهير بالكردي، وقد كانت سابقاً من ضمن الكتب التي وقفها الأستاذ جمال الدين محمود بن علي الظاهري، في سنة ٧٩٧هـ، على مدرسته التي أنشأها بالقاهرة»<sup>(٧٤)</sup>.

وتابع كرن وصف مخطوطة الكتاب، فذكر أنها ليس بها تاريخ نسخ معروف، إلا أن خطها يشبه خطوط المائة الخامسة، وكتابتها الناسخ محمد بن أحمد بن إبراهيم الإمام، وهو غير معروف، وقد تكرر ذكر اسمه في بعض خواتم كل قسم من أقسامه أكثر من مرة.

واستطرد المحقق فذكر أن «الموجود منها ١١٣ ورقة، وهي تحتوي على كتاب المدبر<sup>(٧٥)</sup>، وهو كراسان، إلا أنه فقد منه.

بقي من الثاني الورقة الأولى والأخيرة فقط. كراس من كتاب البيوع. كراسان فيها آخر كتاب الصرف وجميع كتاب السلم. الكراس الأول من المزارعة والمساقاة، كتاب الغصب وهو كراسان، إلا أنه بقي من الأول الورقة الأولى والأخيرة. كتاب الضمان إلا أنه فقد كراسين من أوله»<sup>(٧٦)</sup>.

كما أضاف كرن أن أحد العلماء أبلغه أنه رأى «جزءاً آخر

لتفسير معنى (المقام المحمود) لغويًا واصطلاحياً إلى إيراد الملاحظات التالية إجمالاً لما أوردناه.

١- يعتقد الطبري أن «المقام المحمود» خاص به الشفاعة الكبرى، وحدها، وهو المذهب الأول المعتمد الذي أجمع عليه المفسرون جميعاً من المسلمين، وهو ما صح به الخبر، وهو أولى القولين بالصواب.

٢- لم يرفض الطبري المذهب الثاني، وهو رأي مجاهد وجماعته، لأنه يعتقد أن إقعاد النبي محمد(ص) على العرش غير مدفوع صحته، لا من جهة الخبر، ولا من جهة النظر.

٣- صنف الطبري المذهب الثاني في ثلاث فرق، وعرض آراءها، وأيد ما أوردته أئمتها، لكنه توقف عند الفرقة الثالثة من المذهب الثاني، وهي التي تعتقد أن محمداً(ص) مع الله، أو أنه يقعه، والله للعرش مباين، لا بماس، ولا مباين، وعد هذا التفسير مخالفاً لجميع الفرق السابقة التي أورد أقوالها، وغير محال منها ما قال مجاهد في ذلك.

٤- لم ينقل العلماء من المحدثين والحنابلة، من أخبار المناظرة الطبرية، في مجلس الجمعة، حيث كان يدرس، إلا رأيين مجملين:

- أولها رأي الطبري في أحمد بن حنبل، وهو رأيه الخاص فيه.

- ثانيها قول الطبري: «وأما حديث العرش فمحال»<sup>(٧٧)</sup>.

فمن الطبيعي أن يعرض الطبري آراءه التي أوردتها في تفسيره المشهور، بيد أننا لا نعرف بالتالي آراء العلماء والمحدثين في هذه المناظرة التاريخية المحتدمة.

ومن المؤكد عندنا أن الطبري، كما عرفناه، صحيح العقيدة، صلب الرأي، لا يتزحزح عن رأيه، وإنما كانت محنته لموقفه الخاص من الحنابلة الذي ألبوا عليه «عوام الحنابلة ورعايعهم» كما نعتهم ابن كثير.

٥- ولا بد من الإشارة هنا إلى أن المقصود بالحنابلة هم طائفة من الحنابلة المنعصبة القائلة بالتجسيم، وهي التي ردّ آراءها في الفرقة الثالثة.

يؤكد ما نذهب إليه أن بعض المؤرخين الذي ترجعوا له كالذهبي وابن العسّاد الحنبلي قد أثنوا عليه مشيدين بعلمه وفضله. يضاف إلى ذلك أن العلماء الحنابلة الذين أوردنا ذكرهم

في إحدى مكاتب القسطنطينية<sup>(٧٣)</sup>.

يضاف إلى «اختلاف الفقهاء» جزء آخر أو جزءان يتألف منها كتاب منسوب إلى الطبري، أُطْلِعَ عليه كِرْنٌ في فهرس مكتبة عاشر أفندي بالقسطنطينية، وهو «كتاب الجهاد والجزية»، ورجَّح أنه ربما كان جزءاً من كتاب الاختلاف أو اللطيف، أو غيرهما.

لا نعرف فيما اطلعنا عليه من آثار الطبري وجود كتاب له بهذا العنوان. ويبدو أنه فيما نعتقد، أحد أجزاء الاختلاف، أو جزءان من أجزائه، وهي بعنوان كتاب الجهاد، وكتاب الجزية، وهكذا يصبح الاختلاف مؤلفاً من تسعة أجزاء، أو تسعة كتب، كما اصطلاح الطبري على تسميتها في كتابه الكبير المدفون، وقد تكشف الأيام لنا بعض ما لا عجب إن قلنا: إن معظم الكتاب مفقود، فقد أُخْرِجَ من القراب بعدما أخفاه الطبري في محنته الكبرى، وهذا بالطبع أدى إلى تلف بعض أجزائه بسبب الرطوبة، يضاف إلى ذلك وجود خروم كثيرة في الكتاب وأجزاء مطموسة بسبب ذلك.

هذا كله يؤكد أن معظم الكتاب مفقود، والدليل على ذلك أن مرتضى الزبيدي، صاحب (تاج العروس في شرح القاموس) قد استدرك منه بابين في كتابه إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار علوم الدين للامام الغزالي، في شرحه الباب الأول من كتاب النكاح، في قوله «وقرأت في كتاب اختلاف الفقهاء لابن جرير الطبري ما نصّه...»<sup>(٧٤)</sup> وهو ملحق بالكتاب المطبوع نقلاً عن المصدر المذكور.

هذا كله يؤكد الحاجة الماسة إلى التفتيش عن مخطوطات هذا الكتاب الذي نكب صاحبه، ونُكِبَ به صاحبه، وضرورة جمع المتفرق منه في بواطن الكتب المخطوطة أو النقول منه من الكتب المطبوعة، وذلك لكي نكمل العمل القيم الذي بدأه المستشرق الألماني كرن.

ومن الفائدة أن نعرض مضمون كتاب اختلاف الفقهاء لبيان أهمية الموضوعات التي بحثها الطبري، وذكر بعض الملاحظات العلمية التي استرعت انتباهي من خلال الاطلاع عليه.

لم نجد في الكتاب خطبة المؤلف التي تشفع عادة بالبسملة والتشهد والحمد له والتصلية، وإنما اقتصر أحياناً على ما كتبه

النساخ أو الطلبة في كل جزء حين الإملاء من قبل المؤلف، وقد يحتتم بذكر كاتبه، محمد بن أحمد بن إبراهيم الإمام.

القسم الأول يتضمن الكتاب الموضوعات التالية:

- ١- كتاب المدبر ١ - ٣٠.
- ٢- كتاب البيوع ٣١ - ٥٥.
- ٣- كتاب الصرف ٥٦ - ٦٧.
- ٤- كتاب السلم ٦٨ - ١١٦.
- ٥- كتاب المزارعة والمساقاة ١١٧ - ١٤٤.
- ٦- كتاب الغصب ١٤٥ - ١٦٦.

القسم الثاني:

- كتاب الضمان ١ - ١٢٢.
- رقم الأخير ترقيباً مستقلاً ونرى من الفائدة تبيان مضمونه لأهمية الموضوعات التي بحثها واتساع المؤلف فيما يتعلق بالضمان والكفالة والحوالة، وهي التالية:
- أ - القول في الكفالة بالمال إلى الآجال ٧ - ١٢.
- ب - القول في الجماعة يضمنون عن رجل عليه ١٢ - ٢٥.
- ج - القول في أحكام الكفالة بالنفس ٢٥ - ٥١.
- د - القول في الألفاظ التي تصح بها الكفالة وتلزم ٥١ - ٦٢.
- هـ - القول في حكم الرجال يأمر رجلاً أن يتقد رجلاً عنه مالاً محدود المبلغ ٦٢ - ٦٦.
- و - القول في كفالة العبد بنفس رجل لرجل وضمانه له مالاً له عليه ٦٦ - ٧٢.
- ز - القول في كفالة متكفل بنفس صبي ٧٢ - ٧٥.
- ح - القول في كفالة العبد عن سيده ٧٥ - ٧٦.
- ط - القول في الكفالة عن المكاتب وكفالة المكاتب ٧٦ - ٨٦.
- ي - القول في العبد يكون بين اثنين ٨٦ - ٨٧.
- ك - القول في كفالة أهل الذمة ٨٧ - ٨٩.
- ل - القول في كفالة المرتد ٨٩ - ٩٢.
- م - القول في حكم كفالة الحر المستأنس.
- ن - القول في حكم رجل يأمر بضمان ٩٣ - ٩٤.

حرص الطبري على إيراد القضايا الفقهية التي كانت موضع جدل واختلاف بين أئمة المذاهب، فقد كان يورد الآراء المستشهد بها إجمالاً أو اختلاقاً أو قياساً أو قوة أو ضعفاً، وكانت شخصيته بارزة كثيراً في حسم كثير من الآراء، وذلك عن طريق القياس أو بيان العلة أو عدم صلاحها لمخالفتها النصوص المأثورة.

من شواهد منهجه في الاختلاف قوله:

«وقالوا جميعاً غير مالك»<sup>(٧٩)</sup> و«أجمع العلماء جميعاً لا خلاف بينهم»<sup>(٨٠)</sup>؛ كما كان يؤكد نقوله وآراءه بإيراد العلة المعتمدة كما في قوله:

«وعلة من قال...»<sup>(٨١)</sup> وردت أربع مرات في صفحتين؛ و«علة من يقول...»<sup>(٨٢)</sup> و«علة القائلين...»<sup>(٨٣)</sup>.

وقد يختتم بعض القضايا المعروضة ببعض تعابيره المأثورة والمعروفة عند طلابه ومريديه والنساخت من مثل قوله:

«والصواب من القول في ذلك عندنا...»<sup>(٨٤)</sup>؛ و«القول عندنا...»<sup>(٨٥)</sup>؛ و«هذا الذي قالوا عندنا كما قالوا...»<sup>(٨٦)</sup>؛ و«الذي قالوا في ذلك عندي كما قالوا...»<sup>(٨٧)</sup>؛ و«بالذي قلنا في ذلك قال أبو حنيفة وأصحابه...»<sup>(٨٨)</sup>.

يضاف إلى تعابيره المأثورة والمتشابهة والمكررة بشكل أو بآخر استخدام تعبير ختامي مأثور مشهور عند طلابه هو قوله:

«قال أبو جعفر: والحق في ذلك عندي، وبالله التوفيق»<sup>(٨٩)</sup>؛ وقد تكرر خمس مرات تقريباً، وذلك لبيان وجهة نظره واجتهاده فيما يعرضه من مسائل فقهية هي موضع الخلاف. في الرأي.

والمأثور عند الناقلين عن إملانه أنه قد يختتم الموضوع بهذا التعبير التقليدي، فربما كان فيما نرجحه من إضافة النساخت أو تعليق طلابه، وهو: «تم كتاب... والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله الطيبين، وكتب محمد بن أحمد بن إبراهيم الإمام»، وقد يختلف بالزيادة أو النقص في التعبير: «تم كتاب الصرف والحمد لله على محمد وآله وسلم كثيراً»<sup>(٩٠)</sup>.

مهما يكن من أمر هذا كله فإن الطبري تفرد بمنهج علمي سديد خاص به، وقد لاحظنا أنه قد طبقه في مؤلفاته سواء كان

س - القول في حكم المدعي قبل رجلاً حقاً ٩٤ - ٩٥.

ع - القول في صلح الكفيل المكفول له في السلم عما كفل له ٩٥ - ١٠٠.

ف - القول في حكم كفالة المريض ١٠٠ - ١٠٥.

ص - القول في حكم الرجل يبيع الرجل سلعة إلى أجل ١٠٥ - ١١٠.

ق - القول في حكم الكفالة عن مجهول لمجهول ١١٠ - ١١٢.

ر - القول في الكفالة بالحيوان والعروض ١١٢ - ١٢٢.

أبرز ما يلاحظ من خلال عرض مضمون قضية واحدة هو هذا العمق والتحقيق والتوثيق، مما عرف به الطبري. يضاف إلى ذلك بيان وجهة نظره في التعليق على كل رأي من آراء الأئمة الذين يستشهد بهم موافقة أو مخالفة، وما كان عليه الإجماع عند بعضهم، وعدم الإجماع عند بعضهم الآخر.

ويختتم ذلك كله ببيان قوله الفصل بصيغة التنكلم أو الجمع، ومن هنا تكمن عبقرية الطبري وأهمية القضايا الاجتماعية المدروسة وبيان مضمونها والرأي فيها. كما لاحظنا من خلال بحث المضمون أهمية هذه الظاهرة الاجتماعية والاقتصادية، وهي شغل العالم الشاغل في العصر الحاضر.

إن هذه القضية تم الناس في كل زمان ومكان وعند سائر الأمم في العالم، وقد خص المذاهب كلها من المسلمين وغيرهم.

### منهج الطبري في الاختلاف

اعتمد الطبري على منهج علمي سديد، يمكن أن ندعوه بالمنهج الطبري، فاختر أعلام الأئمة المجتهدين من أصحاب المذاهب أو التفرد في بعض الآراء، ممن كانوا في نظره موثقين إمامة ورواية ودراية، وقد أوردنا ذكرهم من قبل اعتماداً على رواية ياقوت، واستثنى منهم أحمد بن حنبل لأنه لم يطلع على آراء له في الاختلاف، ولم يعرف من أصحابه من يعول عليه. وذلك لأنه في نظره لا يعدو كونه أحد المحدثين الأعلام، وربما كان غير واثق بآرائه في الاختلاف، ومن الطبيعي يبعده من الاستشهاد به في كتابه، وتلك هي حرية كل عالم يختار ما يوافق رأياً واتجاهاً، فلم يطالب الحنابلة الطبري بذلك، ورأيه فيه معروف سلفاً.

في التأريخ أو التفسير أم الفقه في كتب الاختلاف أو الائتلاف والإجماع عند العلماء جميعاً.

كما أنه وضع لنفسه أصول مذهب خاص به، أشار إليه المستشرق كرن في تقديمه لكتاب الاختلاف، وعتقه بالمذهب الجبري، ولكنه لم يستمر طويلاً بعد موت الطبري.

قال ابن فرحون المالكي في الديباج المنهَب: «وأما أصحاب الطبري وأبي ثور فلم يكتروا، ولا طالت مدتهم، وانقطع أتباع أبي ثور بعد ثلاثمائة، وأصحاب الطبري بعد أربعائة»<sup>(٩١)</sup>.

والمعروف أن الفرغاني كان من أهم رواة الطبري، وقد قال: «فلما اتسع علمه أداه اجتهاده وبحثه إلى ما اختاره في كل صنف من العلوم في كتبه، إذ كان لم يسمعه فيما بينه وبين الله، عز وجل، إلا الدينونة بما أداه اجتهاده إليه فيما لم ينص عليه من يجب التسليم لأمره، فلم يأل نفسه والمسلمين نصحاً وبياناً فيما صنفه»<sup>(٩٢)</sup>.

والمعروف أن الطبري قد أظهر فقه الشافعي، وأفتى به في بغداد عشر سنين، وقد تجاوز ذلك فأفتى بما يمكن أن نعتّه تطوراً نحو إيجاد مذهب جريري خاص به.

وقد أشار الفرغاني إلى أن الطبري صنف كتابه الهام: «لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام»، وهو مذهبه الذي اختاره وجوّده واحتج له.

ولابدّ من الإشارة هنا إلى أن الطبري، كان - بالإجماع - عند أهل الطبقات إماماً مجتهداً مطلقاً، تفرد بتصانيف ذات أهمية كبرى في الفقه والتفسير والتاريخ، وأنه كما يقول القفطي<sup>(٩٣)</sup>: «واحد الدهر وفريد كل عصر».

### المصادر والهوامش:

١- مصادر ترجمته وأخباره:

- معجم الأدياء لياقوت ٤٠/١٨، ومعجم البلدان ٥٧/١، ٥٨، و ١٣/٤ - ١٦، والتجوم الزاهرة لأبن تفردي ٢٠٥/٢، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٢٥١/٢ - ٢٥٥، ووفيات الأعيان لأبن خلكان ٣٣٢/٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٢٠/٣ - ١٣٠، ومفتاح السعادة ٢٠٥/١ و ٢١٥، والبداية والنهاية لأبن كثير ١٤٥/١١، والكامل في التاريخ لأبن الأثير ١٣٤/٨ - ١٢٦.

وشذرات الذهب لابن السباد ٢/٢٦٠، وميزان الاعتدال للذهبي ٤٩٨/٣، ٤٩٩، ولسان الميزان لابن حجر ١٠٠/٥، وتاريخ بغداد ١٦٢/٢، والمحمدون ص ٢٦٣، ومقدمة المرحوم محمد أبو الفضل ابراهيم لتاريخ الطبري ٥/١ - ٣٢، ومقدمة كرن لكتاب الطبري اختلاف الفقهاء ٣ - ٢٣، والأعلام للزركلي ٢٩٤/٦، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٦/٥.

٢- المحمّدون ٢٦٣، وقد وضع مؤلفه القفطي كتاباً مستقلاً في حياته بعنوان «التحرير لأخبار ابن جرير»، وذكر «أنه كتاب فريد في نوعه».

٣- معجم الأدياء ٤١/١٨.

٤- المصدر السابق ٤٠/١٨.

٥- المصدر السابق ٤٠/١٨.

٦- طبقات الشافعية الكبرى ٣/١٢٠.

٧- المصدر السابق ١/١٢٠.

٨- البداية والنهاية ١١/١٤٦، ١٤٧.

٩- المصدر السابق ١١/١٤٦.

١٠- المصدر السابق ١١/١٤٧.

١١- معجم الأدياء ٤٣/١٨ و ٨٣.

١٢- معجم البلدان ١/٥٧، ٥٨.

١٣- في اللسان عن ابن الأعرابي (مادة طبر) والمعنى قفز أو اختبأ، ومعنى (طيار) الداهية، و (الطيار) ضرب من التين، وهو أكبر تين رآه الناس.

١٤- المصدر السابق ١٤ - ١٦.

١٥- معجم الأدياء ١٨/٨٠.

١٦- المصدر السابق ١٨/٨٨ و ٨٩.

١٧- ابن العباد: شذرات الذهب ٢/٢٦٠.

١٨- معجم الأدياء ٤١/١٨.

١٩- المقدمة لتاريخ الطبري ١/١٥ - ١٩.

٢٠- ذكر المرحوم أبو الفضل إبراهيم أن «حرقوص بن زهير السعدي كان صحابياً، ثم كان مع علي (رض) بصفين، فصار خارجياً عليه وقتل، وربما كان في ذلك تفسير للكتاب». (المقدمة ١٨).

٢١- ذكر ياقوت أن الطبري ردّ فيه على داود بن علي الأصبهاني.

٢٢- أو شرح السنة.

٢٣- ألف ثلاثة كتب في الفضائل: فضائل علي بن أبي طالب و فضائل

أبي بكر وعمر، ولم يتمه، وفضائل العباس، ولم يتمه.

٢٤- معجم الأدياء ١٨/٧٤.

٢٥- مقدمة اختلاف الفقهاء ١١.

٢٦- معجم الأدياء ١٨/٧٤.

٢٧- معجم الأدياء ١٨/٧٤.

٢٨- معجم الأدياء ١٨/٨٤، ٨٥.

- ٢٩- سير أعلام النبلاء ٢٧٧/١٤.
- ٣٠- معجم الأدباء ٨٤/١٨، ٨٥.
- ٣١- البداية والنهاية ١٤٧/١١؛ ومقدمة اختلاف الفقهاء نقلًا عن تاريخ البرزالي، ص ١٠.
- ٣٢- المصدر السابق.
- ٣٣- الفهرست لأبي التميمي ٤٩١.
- ٣٤- المصدر السابق، ص ٤٩١. توجد نسخة خطية من هذا الكتاب في برلين رقم ٤١٥٥ كما ورد في تحقيق الفهرست.
- ٣٥- معجم الأدباء ٧١/٧٢.
- ٣٦- المصدر السابق ٧١/٧٢.
- ٣٧- أبو علي، محمد بن عيسى (المتوفى سنة ٢٩٣هـ).
- ٣٨- معجم الأدباء ٥٧/١٨ - ٥٩.
- ٣٩- المصدر السابق ٦١/٦١.
- ٤٠- المصدر السابق ١٨/٥٩.
- ٤١- ميزان الاعتدال ٤٩٨/٣، ٤٩٩، ولسان الميزان ١٠٠/٥.
- ٤٢- المصدر السابق.
- ٤٣- في الأصل (نبرأ) ونصوب ما أثبت أي نسب.
- ٤٤- لسان الميزان ١٠٠/٥.
- ٤٥- المصدر السابق ١٠٠/٥.
- ٤٦- المصدر السابق ١٠١/٥.
- ٤٧- الإسراء ٧٩/١٧.
- ٤٨- تفسير الطبري ٩٥/١٥.
- ٤٩- تفسير الطبري ٩٦/١٥.
- ٥٠- المصدر السابق ٩٦/١٥.
- ٥١- المصدر السابق ٩٦/١٥.
- ٥٢- المصدر السابق ٩٦/١٥.
- ٥٣- المصدر السابق ٩٦/١٥.
- ٥٤- المصدر السابق ٩٦/١٥.
- ٥٥- المصدر السابق ٩٦/١٥.
- ٥٦- المصدر السابق ٩٦/١٥.
- ٥٧- المصدر السابق ٩٦/١٥.
- ٥٨- المصدر السابق ٩٧/١٥.
- ٥٩- المصدر السابق ٩٨/١٥.
- ٦٠- المصدر السابق ٩٨/١٥.
- أفاض ابن جرير الطبري في روايات الكرسي التي وردت مرة واحدة في سورة البقرة في آية الكرسي المعروفة بفضائلها. عن الحسن البصري أنه كان يقول: «الكرسي هو العرش، والعرش أكبر منه، كما دلت على ذلك الآثار والأخبار. وعن أبي ذر أنه قال: «سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: ( ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض)....» وعن ابن عباس أنه قال «علمه». وقال آخرون: «الكرسي موضع القدمين» وعن ابن عباس أيضاً أنه قال: «كرسيه موضع قدميه، والعرش لا يقدر قدره إلا الله، عز وجل». وقال السدي: «الكرسي تحت العرش».
- ذكر الكرسي في القرآن مرة واحدة في سورة البقرة في آية الكرسي المعروفة بالفضائل الكبرى كما ورد كرسي سليمان (ع)، وتكرر ذكر العرش الإلهي إحدى وعشرين مرة، ما عدا العرش البصري. فقد تكرر عرش ملكة سبأ بلقيس أربع مرات، وعرش النبي يوسف (ص) مرة واحدة، وهي بمعنى سرير الملك.
- ٦١- المصدر السابق ٩٨/١٥.
- ٦٢- المصدر السابق ٩٨/١٥.
- ٦٣- المصدر السابق ٩٨/١٥.
- ٦٤- المصدر السابق ٩٩/١٥، والبيوتة عدم إحاطة بالعرش بالله.
- ٦٥- المصدر السابق ١٠٠/١٥.
- ٦٦- المصدر السابق ١٠٠/١٥.
- ٦٧- المصدر السابق ١٠٠/١٥.
- ٦٨- المصدر السابق ١٠٠/١٥.
- ٦٩- مجمع البيان في تفسير القرآن، سورة الإسراء، ٤٣٤، ٤٣٥.
- ٧٠- الميزان في تفسير القرآن ١٣/١٧٥.
- ٧١- المصدر السابق ١٧٦/١٣.
- ٧٢- معجم الأدباء ٥٧/١٨، ٥٩.
- ٧٣- شذرات الذهب ٢/٢٦٠.
- روى الخطيب عن أبي حامد، الإسفرائيني أنه قال: «لو سافر رجل إلى الصين حتى ينظر في كتاب (تفسير ابن جرير الطبري) لم يكن ذلك كثيراً». البداية والنهاية ١٤٦/١١ وشذرات الذهب ٢/٢٦٠.
- ٧٤- المقدمة ٦ ذكر كرن ان المخطوطة منسوخة من نسخة المدينة المنورة.
- ٧٥- المصدر السابق ٦، ٧.
- ٧٦- المصدر السابق ٧.
- ٧٧- المصدر السابق ٤.
- ٧٨- إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار علوم الدين للامام الغزالي للزيدي (طبعة مصر) ٣٠٦/٥ و (طبعة فاس) ٢٨٥/٦.
- ٧٨- المصدر السابق ١١١/١.
- ٧٩- المصدر السابق ١١١/١.
- ٨٠- المصدر السابق ١١٧/١.
- ٨١- المصدر السابق ١١٢/١، ٢٧، ٨٢/٢.
- ٨٢- المصدر السابق ١٨/١.



- ٨٣- المصدر السابق ١٨/١.  
 ٨٤- المصدر السابق ٤٦/١، ٦٨، ١١٣، ٢/٢ و ٨٥.  
 ٨٥- المصدر السابق ١١/٢.  
 ٨٦- المصدر السابق ٦٣/١.  
 ٨٧- المصدر السابق ٦٥/١.  
 ٨٨- المصدر السابق ٤٩/١.  
 ٨٩- المصدر السابق ٣/١، ١٣، ٥، ١٢، ١٩، ٢٩.  
 ٩٠- المصدر السابق ٣٠/١، ٦٧، ١١٦.  
 ٩١- مقدمة الاختلاف ١٥.  
 ٩٢- المصدر السابق ١٥.  
 ٩٣- المحمدون ٢٦٣.
- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي.  
 تحقيق محمود محمد الطفاحي وعبد الفتاح محمد الحلوي،  
 مطبعة عيسى البالي الحلبي ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.  
 غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري.  
 تحقيق ج. برجستراسر، طبع مكتبة الخانجي بمصر  
 ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م، الطبعة الأولى.  
 الفدير لعبدالحسين أحمد الأميني النجفي.  
 دار الكتاب العربي، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣هـ  
 ١٩٨٣م.  
 الفهرست لابن النديم.  
 الطبعة الأولى، تحقيق الدكتور ناهد عباس عثمان، دار  
 قطري بن الفجاءة ١٩٨٥.  
 الكامل في التاريخ لابن الأثير.  
 دار صادر ودار بيروت، بيروت ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.  
 كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة.  
 الطبعة الثالثة، المكتبة الإسلامية بطهران ١٣٨٧هـ  
 ١٩٦٧م.  
 لسان الميزان لابن حجر العسقلاني.  
 مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدرآباد  
 الدكن ١٣٣١هـ.  
 مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي.  
 مطبعة العرفان، صيدا ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.  
 المحمدون من الشعراء وأشعارهم.  
 تحقيق رياض عبد الحميد مراد، مطبعة الحجاز بدمشق،  
 مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٥هـ -  
 ١٩٧٥م.  
 مختصر تفسير ابن كثير لعلماد الدين بن كثير.  
 اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، الطبعة الرابعة،  
 بيروت، دار القرآن الكريم ١٤٠١هـ  
 معجم الأدباء لياقوت الحموي (إرشاد الأريب لمعرفة  
 الأديب).  
 دار المأمون ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.  
 معجم البلدان لياقوت الحموي.  
 دار صادر ودار بيروت، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
- فهرس المصادر والمراجع  
 اختلاف الفقهاء للطبري.  
 تحقيق المستشرق الدكتور فريدريك كرون، الطبعة  
 الأولى، طبع مطبعتي الموسوعات والترقي بمصر/  
 ١٣٢٠هـ - ١٩٠٢م.  
 الأعلام لخير الدين الزركلي.  
 الطبعة الثانية، بيروت ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.  
 البداية والنهاية لابن كثير.  
 الطبعة الأولى، مكتبة المعارف في بيروت ١٩٦٦م.  
 تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.  
 دار الكتاب العربي، بيروت.  
 تاريخ الطبري لابن جرير الطبري  
 الطبعة الثانية، تحقيق المرحوم محمد أبو الفضل  
 إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.  
 تفسير الجلائن لجلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي.  
 مطبعة الاستقامة في القاهرة.  
 تفسير الطبري لابن جرير الطبري.  
 المطبعة الكبرى الأميرية بيولاقي ١٣٢٤هـ  
 سير أعلام النبلاء للذهبي.  
 مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.  
 شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي.  
 المكتبة التجارية للطباعة والنشر، بيروت.

معجم المؤلفين لمرضا كحالة.

دمشق، مطبعة الترقى ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبري زادة.

حيدرآباد ١٣٥٦هـ.

ميزان الاعتدال للذهبي

تحقيق علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية

١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي.

الطبعة الثانية، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٣٩٢هـ -

١٩٧٢م.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي.

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة

والنشر، القاهرة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

الوافي بالوفيات للصفدي.

تحقيق ي. يدريغ، الطبعة الثانية، دار نشر فرانز

شتاينر بفرسبادن ١٩٧٤م.

وفيات الأعيان لابن خلكان.

تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة

المصرية ١٩٤٨م.